د. محمد مورو

إسلاميون لا طائفيون

المشكلة المزعومة بين المسلمين والأقباط في مصر

الناشر
المختار الإسلامي
للطبع والنشر والتوزيع
١٦ شارع كامل صدقي بالفجالة
القاهرة ت ٩١١٣٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمـــــة

من وقت لآخر - تطل الفتنة الطائفية برأسها - وفى كل مرة نكتفى بالاجراءات القانونية أو البوليسية دون أن نحاول دراسة جذور المسألة أو وضع تصور صحيح حولها - يكون بداية للفهم المتبادل بين جميع الاطراف - وتحقيق حوار ومكاشفة ومصارحة حول القضايا المطروحة وأسباب اشتعال الفتنة من وقت لآخر - وهذه المحاولة هى خطوة على طريق الفهم المتبادل ووضع قواعد للعلاقة تستند الى العقيدة والذات والتاريخ الاسلامى والقبطى على السواء .

إننا نرى أن هامش الاتفاق واسع جدا وأكبر كثيرا من هامش الخلاف - وعلى الجميع أن يعمل لتأكيد ذلك وترسيخه فى الواقع .

هناك عدد من البديهيات ينبغى على الجميع أن يعمل فى إطارها وهى كالتالى .

١ - أن الاسلام دين غير طائفى - وأن الحركة الاسلامية حركة غير طائفية .

- أن الكنيسة القبطية من خلال تاريخها وعقائدها كنيسة مستقلة ومتميزة - وأن المسيحية الغربية تستهدف دائما تذويب تلك الكنيسة والسيطرة عليها - وكم عانت الكنيسة القبطية من الاضطهاد الرومانى ثم الاستعمارى .

- أن المسلم ينتمى الى الاسلام كدين وكثقافة وكحضارة وكوطن وأن المسيحى فى بلادنا ينتمى أيضا إلى الاسلام كوطن وكثقافة وكحضارة .

- أن حوادث الفتنة الطائفية التى شهدتها بلادنا - كانت بافتعال وتدبير عناصر الاستعمار- والمرتبطين به .

الباب الأول

ميثاق الذرارى

الاسلام دين غير طائفى - والحركة الاسلامية أيضا حركة لا طائفية .

فالاسلام الذى نزل من الله تعالى لهداية البشر من لدن آدم عليه السلام وحتى محمد صلى الله عليه وسلم هو دعوة لتحقيق الحرية والعدل والمساواة لكل البشر - فلا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى - بل هو دعوة للجهاد ضد الاكراه فى الدين أو فى غير الدين.

الاسلام دين الفطرة - والله تعالى - زرعه فى فطرة الانسان قبل أن يستخلفه فى الأرض «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ». وهذا يسمى ميثاق الذرارى - إذن قبل نزول الانسان على الأرض أخذ عليه ربه الميثاق وعلمه الاسلام - ليس هذا فحسب بل زود الله الانسان بالعقل الذى يستطيع به أن يصل الى الحق ويعرف الله ويؤمن برسالة الله وهى الاسلام . وأكثر من هذا وضع فى الكون من الآيات والمعجزات والتنظيم المبدع والخلاق مايقود الى الايمان بالله وبمنهجه بمنتهى البساطة - اذن فالفطرة أو القلب يقود الى الاسلام - والعقل أيضا يقود الى الاسلام وتنظيم الكون وتدبيره يقود الى الاسلام أيضا - اذن فلا مشكلة فى الوصول الى

الاسلام والايمان به . ولكن القوى الشيطانية فى المقابل لاتقف مكتوفة الأيدى - فاذا كانت الفطرة تقود الى الاسلام فلابد من طمس الفطرة - وإذا كان العقل يقود الى الاسلام فلابد من تقييد العقل - إذن لابد من منع العقل من التفكير بحرية وبلا ضغوط - وذلك عن طريق منع حرية الفكر - أى الأستبداد . وقهر الانسان تحت ضغط الحاجات الاقتصادية أى الظلم الطبقى والاجتماعى والاقتصادى ثم نشر الأفكار الاجتماعية المنحرفة مثل الولاء للقبيلة أو للقومية أو غيرها .

وإذا أدركنا ما سبق نجد أن المسلم ليس مطالبا بأن يكره الآخرين على الاسلام «لا إكراه فى الدين» -ولكنه مطالب بالتحديد بالجهاد ضد الاستبداد والظلم الاقتصادى والاجتماعى - فإذا ما تحرر الانسان من ذلك اختار الاسلام بسهولة لأن فطرته وقلبه وعقله يقودانه حتما الى هذا .

إذن الحركة الاسلامية هنا مطالبة بالجهاد من أجل انتزاع حرية التفكير - حرية المناقشة - حرية الدعوة - حرية اعتقاد الانسان ماشاء من عقيدة أو دين - مطالبة بالجهاد ضد الظلم الطبقى وضد التمييز العنصرى وضد الاستكبار - مطالبة بالدفاع عن المستضعفين من كل دين وملة وجنس سواء كان هذا الاستضعاف إستضعافا طائفيا أو قوميا أو عرقيا أو عنصريا أو عن طريق الاستبداد السياسى .

القوى الشيطانية تعمل دائما لقهر الانسان وحرمانه وظلمه وتدعم بذلك فئة منحرفة ومستكبرة - ومهمة الاسلام هى إنقاذ هؤلاء المستضعفين من براثن الاستكبار . ومن الطبيعى أن ينحاز المستضعفون فى كل زمان ومكان الى الاسلام ويتحالفوا مع أمة الاسلام أو الحركة الاسلامية - والدفاع عن المستضعفين فريضة إسلامية .

إذن فالاسلام ليس دينا طائفيا .

والحركة الاسلامية أيضا ليست حركة طائفية - بحكم شريعة الاسلام ومنهج الاسلام فى الدعوة والجهاد - وبحكم ظروفها أيضا - فمن حيث تلك الظروف فإن الصراع بين الحضارة الاسلامية بما تمثله من عدل وحق وحرية وانصاف والحضارة الأوربية بما تمثله من ظلم وقمع وقهر انتهى بعد مراحل طويلة إلى سيادة الحضارة الأوروبية بالقهر والتسلط العسكرى والاقتصادى على العالم - ودفع العالم ثمنا غاليا من ثرواته ومن دماء أبنائه أيضا- ألم ترتكب تلك الحضارة الأوروبية المذابح ضد الأفارقة وضد الهنود الحمر- بل أبادت الهنود الحمر . وعلى مستوى افريقيا قتلت ٤٥ مليون زنجى - يوم أن كانت بريطانيا ٣ مليون نسمة أى ١٥ ضعف سكان بريطانيا فى ذلك الوقت - أى لو تركت أفريقيا بحالها لكان عدد سكانها اليوم يزيد عن تعدادها الموجود اليوم بألف مليون نسمة أو أكثر - إذن لتغير وجه أفريقيا وربما وجه العالم . وهذه قطرة من مظالم الحضارة

الأوروبية ، والحركة الاسلامية اليوم تواجه الاستعمار الأوروبى والأمريكى المتمثل فى التبعية الاقتصادية والتدخل وزرع الكيان الصهيونى فى بلادنا وفرض أنظمة مستبدة علينا - إذن فالحركة الاسلامية ليس أمامها بحكم شريعتها وبحكم ظروفها الا التحالف مع ضحايا الحضارة الأوروبية ، وكل من يرفض تلك الحضارة سواء كان مسلما أو مسيحيا أو يهوديا أو زنجيا أو خلاف ذلك .

إذن فالحركة الاسلامية ليست حركة طائفية .

* * *

والحضارة الاسلامية لم تعرف طوال فترات تفوقها أو حتى ضعفها أى شكل من أشكال الظلم الطائفى - بل عاشت الأقليات فى كنفها فى رحاب العدل والمساواة وأبدعت تلك الاقليات ابداعا متميزا فى اطار الحضارة الاسلامية - ولم تسجل أحداث التاريخ اى حالات ظلم طائفى حدثت فى اطار الحضارة الاسلامية - وحتى اذا وقع الظلم من قبل الحكام فهو يقع على كل المحكومين مسلمين وغير مسلمين .

وإذا ضربنا مثالا واحدا وواضحا على هذا الأمر - نجد أن بلدا كلبنان مثلا عاش فى ظل الحكم الاسلامى بدون أية مذابح طائفية فلما انتهى الحكم الاسلامى فيه وسقط فى قبضة الاستعمار الأوروبى - بدأ لبنان يعرف المذابح الطائفية - بل راح الاستعمار يفتعل ويزكى أوار تلك المذابح فالانجليز مثلا فى سنة ١٨٦٠

حرضوا الدروز على ذبح الموارنة فيما عرف بطوشه النصارى و ن الطريف هنا أنه رغم الوجود الاستعمارى الأوروبى فى لبنان فإن رجلا مثل الأمير عبد القادر الجزائرى وهو الزعيم الاسلامى المعروف الذى عانى شخصيا وعانى معه شعب الجزائر على يد الاستعمار الفرنسى - الذى دمر المساجد وقتل الأهالى وانتزع الثروات بلا هوداه - والاستعمار الفرنسى أو فرنسا دولة مسيحية ولو كان عبد القادر الجزائرى إنسانا طائفيا لشارك فى ذبح النصارى فى لبنان ولكن لأنه مسلم فهو غير طائفى ولأنه مسلم فانه يدرك أن التعصب الصليبى الأوروبى لايبرر ظلم نصارى لبنان أو ذبحهم ولأنه مسلم لم يقف ساكتا بل قام بقيادة أتباعه فى الشام وعمل على حماية نصارى لبنـان من المذابح التى دبرتها انجلترا وعملاؤها لهم سنة ١٨٦٠ .

* * *

إذن فالصحيح أن الاسلام دين غير طائفى - والحضارة الاسلامية غير طائفية والحركة الاسلامية أيضا غير طائفية .

قد يقول البعض أن هناك تعصبا إسلاميا وخاصة ضد أوروبا لأن المسلمين يصفون الغزو الأوروبى لبلادنا بأنه غزو صليبى .

ولايقولون مثلا أنه استعمارى فقط - أو رأسمالى أو غير ذلك وفى الحقيقة فإن هذه المقولة يرددها عملاء الاستعمار ومثقفو المدرسة الاستعمارية - فلأن الإسلام دين غير طائفى ولأنه غير

متعصب فانه يكون صادقا ويصف الأشياء على حقيقتها فهو ليس عنده مايخفيه أو يخجل منه - لو كان المسلمون متعصبين مثلا لخجلوا من القول بأن الاستعمار الأوروبى إستعمار صليبى حتى لايتهموا بالتعصب أو الطائفية - وعلينا هنا أن نحدد معنى الحضارة الأوروبية الصليبية وما عانيناه منها كمسلمين أو كمسيحيين شرقيين لنعرف إن كان وصف الاستعمار بالتعصب الصليبى صحيح أم خاطئ .

ومنذ ظهور الاسلام - وأوروبا الصليبية تتآمر عليه - وشهد العالم صراعا مستمرا فى الزمان والمكان بين الحضارة الاسلامية وبين الحضارة الأوروبية - وتكثف هذا الصراع فى الحروب الصليبية فى الشرق لمدة ثلاثة قرون ١٠٩٨ - ١٢٩٥ - ولكنه كان مستمرا فى الأندلس قبل ذلك وبعد ذلك وكذلك فى الجزائر التى استمرت الحرب فيها اكثر من الف عام فى صراع مستمر مع أوروبا الصليبية إلى أن انتهى ذلك الصراع باحتلالها فى ١٨٣٠ وبمجرد احتلالها ثم تدمير المساجد بلا رحمة وزرع كنائس التبشير الغربية وايقاع المذابح بالسكان الآمنين .

أليست هذه صليبية . ثم عندما احتل الانجليز مصر وقال عبد الله النديم أنها حربا صليبية هل كان هنا ينشر التعصب الدينى أو الهوس الدينى أم كان يقول الحقيقة المجردة - الم يكن هناك صراع بين فرنسا وانجلترا على احتلال مصر - ولما ظهرت الثورة العرابية

فضلت فرنسا أن تضحى بنفوذها فى مصر وتعطى الكعكة كلها للانجليز فى مقابل ذبح الثورة العرابية الاسلامية - ماذا نسمى هذا؟ ماذا نسمى تهنئة رئيس وزراء فرنسا للسفير الانجليزى فى باريس بعد موقعة التل الكبير قائلا له «إن انتصار الانجليز فى التل الكبير هو إنتصار لكل الدول التى تعمل حسابا للاسلام .

وبماذا نسمى سكوت أوروبا على ذلك الغزو فى حين أنها كانت تقيم الدنيا وتقعدها من أجل اليونان أو ثورة اليونان ثم ماذا نسمى قول اللنبى عند احتلال دمشق - لقد عدنا يا صلاح الدين .

إذن فهناك تعصب صليبى أوروبى - ومن الانصاف واللاطائفية وعدم التعصب أن نصف الأشياء على حقيقتها لا أن نتجاهلها حتى لا نتهم بالتعصب - على أن الصليبية الأوروبية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمسيحية فى الشرق بل بالمسيحية عموما إن الحضارة الأوروبية هى حضارة فى جوهرها وثنية أغريقية ذات قشرة مسيحية رقيقة - بل إن البابا فى روما يتم تتويجه بنفس مراسم التتويج التى كانت تتم لكهنة المعابد الإغريقية الوثنية القديمة - إذن فالصراع بين الحضارة الاسلامية وبين الحضارة الأوروبية هو صراع بين التوحيد والوثنية صراع بين حضارة تنحاز إلى الانسان وحضارة تقهر الانسان صراع بين الحرية والقهر بين العدل والنهب بين الانصاف والاستكبار والموقف الأوروبى المتعصب تجاهنا ليس مرتبطا باتجاه سياسى أو آخر - بل بكل الاتجاهات السياسية والفكرية

والمذاهب والأحزاب والمؤسسات التى أفرزتها الحضارة الأوروبية ، الجزائر مثلا تعرضت للمذابح والقهر على يد الملكيين والجمهوريين الفرنسيين - على يد اليمين واليسار - على يد الليبراليين والشيوعيين فى فرنسا - بل كانت وتيرة المذابح والقهر ترتفع اكثر مع وصول اليسار الى الحكم فى فرنسا - فمذابح ١٩٤٥ التى راح ضحيتها ٤٠ الف شخص فى يوم واحد جاءت واليسار فى الحكم - بل قام وزير الطيران الشيوعى فى الحكومة الفرنسية بنسف عددا من القرى الجزائرية ومسحها من الوجود بطائرات سلاح الجو الفرنسى.

وكذلك نجد أن مصر تعرضت للعدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ على يد الحكومة الاشتراكية فى فرنسا - وعلى يد حكومة حزب العمل الاسرائيلى، وإسرائيل ذاتها تتلقى أكبر الدعم من الأحزاب والحكومات الاشتراكية فى أوروبا . إذن فكل افرازات الحضارة الغربية من رأسمالية وشيوعية واشتراكيه وفاشية ونازية إتسمت جميعها بروح التعصب الممقوت ضد بلادنا والعجيب أنهم يختلفون على كل شئ الا على كراهية بلادنا .

وليست كراهيتهم لنا قاصرة على المسلمين - بل هى تطال كل من ينتمى الى الحضارة الاسلامية حتى لو كان مسيحيا شرقيا - ففى أثناء الحروب الصليبية لم يسمح الصليبيون للأقباط بزيارة بيت المقدس - كما قام الصليبيون بخطف ٥٠٠ طفل مسيحى

قبطى من دمياط أثناء الحملة الخامسة ١٢١٩ وقاموا بتعميدهم وفق العقائد الكاثوليكية . وقام الملك لويس التاسع ملك فرنسا حين احتل دمياط مرة أخرى بفرض بطريرك كاثوليكى على المدينة والانجليز أيضا فعلوا نفس الشئ - فقد حاولوا زرع كنائس بروتستانتية فى مصر عن طريق التبشير - وقد أحست الكنيسة القبطية المصرية بذلك وقام البطريرك كيرلس الرابع بشراء مطبعة لمواجهة مطبوعات الكنائس الانجليزية ضد الكنيسة القبطية .

* * *

اذن فهناك صراع بين الحضارة الاسلامية وكل من ينتمى اليها من مسلم ومسيحى وبين الحضارة الأوروبية وكل من ينتمى اليها من رأسمالى أو فاشى أو نازى أو شيوعى أو إشتراكى . والحضارة الأوروبية تستهدف السيطرة علينا كمسلمين وكاقباط أيضا وممارساتها الاستعمارية تطال المسلم والمسيحى القبطى أيضا - ومن الطبيعى إذن أن يكون المسلم والمسيحى القبطى فى بلادنا فى خندق واحد ضد التحدى الاستعمارى الأوروبى على قاعدة الانتماء كمسلمين وكمسيحيين الى الاسلام كحضارة وكثقافة وكوطن .

وفى الحقيقة فان وقائع الصراع مع الاستعمار تؤكد ذلك فالأفغانى مثلا وهو رائد الثورة الاسلامية المعاصرة ضد النفوذ الأوروبى وضد الاستبداد استطاع ان يضم خلفه فى صف واحد المسلم والمسيحى واليهودى - أى كل من ينتمى إلى الحضارة

الاسلامية أو الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن وكان الأفغانى هذا يعبر عن الاسلام تعبيرا صحيحا وناضجا - ونجد أن من تلاميذ الافغانى المسيحى كسليم نقاش وأديب اسحق واليهودى كيعقوب صنوع وكل هذا على قاعدة الانتماء والولاء للاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن .

والثورة العرابية - وهى ثورة اسلامية - ضمت فى صفوفها المسلم وغير المسلم على نفس القاعدة وهى الانتماء الى الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن فى مواجهة أوروبا الوثنية الصليبية - فنجد مثلا أن كُلاً من شيخ الأزهر - وبطريرك الأقباط - وحاخام اليهود فى مصر قد قام بالتوقيع على قرارات المجلس العرفى بخلع الخديوى توفيق والتمسك بعرابى - وحدث نفس الشئ أيضا فى ثورة ١٩١٩ - فعلى نفس القاعدة وهى قاعدة الانتماء الى الإسلام كثقافة وكحضارة وكوطن شارك الاقباط اخوانهم المسلمين فى كفاحهم ضد الاستعمار الانجليزى .

* * *

بالطبع نحن لن نضع رأسنا فى الرمال - فهناك من انحاز الى الاستعمار من الأقباط - ولكن يبقى أن هؤلاء كانوا شذوذا على القاعدة وكان أيضا هناك من المسلمين من فعل نفس الشئ مما يجعل الامر ليس امرا طائفيا - بل أمر خيانة يقوم بها فاسد الأخلاق من المسلمين أو المسيحيين على السواء - فكما وجد المعلم يعقوب

وبطرس غالى وجد أيضا رياض باشا - وكما وجد لويس عوض وجد غيره من المسلمين إذ الخيانة والانحياز الى الاستعمار كان فى بطرس غالى المسيحى ورياض باشا المسلم وكان فى مثقفين مثل لويس عوض المسيحى وغيره ولكن المشكلة هنا أنه ظهر اتجاه داخل الاقباط ليس مجرد خائن - بل يستند فى خيانته على بعض التبرير العقائدى أى يرى أنه تجمعه بالغرب الاستعمارى وحدة الدين ولاتجمعه بمواطنيه المسلمين فى مصر شئ - وهذا النمط موجود وبكثرة للأسف فى أقباط المهجر وبعض الكنائس فى مصر وبعض رجال الدين ولكننا لن نستعرض مواقفهم ومطالبهم حتى لا نوسع دائرة الفتن وبديهى أن هؤلاء يستفزون المسلمين ويستفيدون أيضا من نتائج هذا الاستفزاز - وهذا القطاع الانعزالى يجب محاصرته وضربه ويجب ايضا أن يلفظه المجتمع القبطى لأنه يعاكس تراث الكنيسة وتاريخها ومصالحها .

وننبه هنا أن على المسلمين الا ينجروا الى الكمائن التى يفعلها هذا القطاع - فمازال جسم الكنيسة القبطية سليما ومنحازا الى الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن - ومازالت تلك الكنيسة متمسكة بتراثها رغم محاولات بعض رجال الدين الخروج على ذلك - ومازال على المسلمين كأغلبية أن يظهروا روح الصبر على ممارسات القطاع الانعزالى حتى لانعطى أعداءنا المتربصين الفرصة التى ينتظرونها .

البـــاب الثانـي

تـــراث الكنيسة القبطية
وعقائدها يؤكدان الانتماء
الى الاسـلام كـثقافــة
وكحـــضارة وكــــوطن

جاءت المسيحية إلى مصر مبكرا - فلقد حملها القديس مرقس نفسه إلى مصر - والقديس مرقس هو أحد حواريى المسيح - كما كتب مرقس أيضا الانجيل الذى يحمل اسمه .

وواجه المسيحيون فى مصر موجة بعد موجة من الاضطهاد فى العصر الرومانى خصوصا تحت حكم «ديسيوس» و«فاليريان» و«ديوكلتيان» فى القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادى بدعوى اختلاف الديانة المسيحية عن ديانة الامبراطورية الرومانية الوثنية ، وعندما دخلت الامبراطورية الرومانية فى المسيحية على يد الامبراطور قسطنطين فإن الاضطهاد قد توقف قليلا ليعود بعدها أشد قسوة تحت دعاوى أخرى .

فلقد حاولت الامبراطورية الرومانية الخلط بين السلطتين الزمنية والروحية بين مالقيصر وما لله . الا أن الكنيسة المصرية رفضت ذلك. وأعلن ذلك الرفض الانبا اثنا سيوس فى مواجهة الامبراطور "قسطانطيوس" الامبراطور الرومانى - فما كان منه الا أن طارد الأنبا «اثنا سيوس» ووضع جائزة لمن يأتيه برأسه - وهكذا ظل "اثناسيوس" نفسه مطاردا لمدة عشرين عاما حماه خلالها الرهبان والفلاحون المصريون .

كان اثناسيوس قد كتب الى امبراطور بيزنطة يقول له «لا تقحم نفسك فى المسائل الكنسية . ولاتصدر الينا أمرا بشأن هذه المسائل- لقد أعطاك الله المملكة وعهد الينا بأمور الكنيسة وليس

مسموحا لنا أن نمارس حكما أرضيا وليس لك سلطان أن تقوم بعمل كنسى » .

وعلى هذا الأساس فقد أصبحت الكنيسة القبطية مستقلة عن الكنيسة الرومانية وأصبح اسم اثنا سيوس علما على القبطية الأرثوذكسية .

وكان من الطبيعى كنتيجة لرفض الكنيسة القبطية الخضوع لسلطان الامبراطور البيزنطى أن تعرضت تلك الكنيسة لأنواع شتى من الاضطهاد والعنف .

ولكن رغم ذلك استمرت الكنيسة المصرية متمسكة باستقلالها فقد رفض الانبا «ديوسكورس» خليفة الانبا اثنا سيوس مقررات مجمع كالدونيا سنة ٤٥١م حول طبيعة المسيح وتعرض الانبا ديوسكورس للحرمان من مجمع كالدونيا كنتيجة لهذا الموقف - ولكن الشعب القبطى وقف مع الانبا «ديوسكورس» فقد رفض هذا الشعب وجميع الرهبان الاعتراف بقرارات مجمع كالدونيا .

وكانت النتيجة أن قامت قوات الامبراطورية وعساكرها بإخراج البطريرك «ديوسكورس» من الكنيسة ومن المدينة كلها حتى دون تمكينه من ارتداء حذائه - وتم تنصيب بطريرك جديد مصنوع فى روما على رأس الكنيسة المصرية ولكن الشعب فى مصر رفض ذلك ومنع هذا البطريرك المصنوع من دخول الكنيسة فى الاسكندرية - وهنا تدخل جنود الامبراطور وأحدثوا مذبحة مروعة للناس على

أبواب الكنيسة وأدخلوا البطريرك المصنوع الى الكنيسة ورغم استمرار الاضطهاد العنيف والدامى - تمسكت الكنيسة القبطية بموقفها من قرارات مجمع كالدونيا حول طبيعة المسيح وبموقفها الرافض لدمج السلطتين الزمنية والروحية - وأصدرت الكنيسة المصرية ماسمى بقانون الايمان لتأكيد ذلك الموقف المستقل والمتميز .

وفى عهد الامبراطور البيزنطى هرقل - حاول هذا الامبراطور استثمار - انتصاراته الخارجية ضد الفرس ونفوذه وسمعته العالية التى حصل عليها بسبب حملاته العسكرية الناجحة - حاول استثمار ذلك فى فرض توحيد الكنيسة المصرية والكنيسة البيزنطية بالقوة - الاأن محاولته ايضا فشلت برغم ممارسته للاضطهاد الدموى البشع طوال سنوات حكمه من أجل تحقيق ذلك . وعرفت تلك السنوات هروب الرهبان عبر السراديب تحت الأرض بين الكنائس والبيوت هروبا من الاضطهاد البيزنطى دون أن يفرطوا فى استقلال كنيستهم وعقيدتهم .

ومحصلة كل هذا - أن الكنيسة المصرية عريقة سبقت كل الكنائس الرومانية والأوروبية - كما أنها كنيسة مستقلة ورفضت كل محاولات الاندماج فى الكنائس الرومانية وهى أيضا تمتلك عقيدتها الخاصة حول طبيعة المسيح التى تختلف اختلافا جذريا عن عقائد الكنائس الرومانية والأوروبية فيما بعد وكذلك هى كنيسة عانت من الاضطهاد الدموى والكبت والقهر على يد

الامبراطورية الرومانية .

* * *

وفى الفترة التى عانى فيها الانبا بنيامين بطريرك الاقباط فى مصر ومعه الشعب القبطى من اضطهاد الامبراطور البيزنطى هرقل جاء الفتح الاسلامى بالخلاص . واستقبل أقباط مصر الفاتحين المسلمين باعتبارهم مخلصين من طغيان الرومان .

وتم تأمين الانبا بنيامين والرهبان على أنفسهم وكنائسهم وفقا لسماحة الاسلام - كما عاش الشعب المصرى كله فى ظل العدل والمساواه والحرية والسماحة وهى السمات الأصيلة للدين الاسلامى ولم يمض وقت طويل حتى كان الشعب كله فى مصر من أسلم ومن ظل مسيحيا يصبح جزءا لايتجزأ من الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية وتصبح اللغة العربية هى اللغة السائدة- وعلينا أن نقارن هذا بتمسك الشعب المصرى بعدم الاندماج فى الثقافة الرومانية والهيلنيستية قبل ذلك لأكثر من ألف عام .

إذا كان الاندماج والانخراط فى الثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية سريعا وكاملا وضم كل الشعب المصرى من أسلم ومن لم يسلم - وأبدع المصريون المسلمون منهم والمسيحيون فى إطار الثقافة والحضارة الاسلامية ايما ابداع - لدرجة أن الأقباط كان منهم علماء اللغة العربية والفقه الاسلامى أيضا بل ووصل الأمر إلى حد وجود رواق للأقباط فى الأزهر الشريف وبديهى أنه طوال الحكم

الاسلامى لم تحدث حادثة واحدة تتسم بالطائفية .

وكانت أوروبا تعرف ذلك وتدركه وتعمل على ضربه - فلما جاءت الحملات الصليبية الى الشرق لم يسمح الصليبيون للأقباط بزيارة بيت المقدس لأن الصليبيين اعتبروا الاقباط كفارا لأنهم يؤمنون بعقيدة مختلفة عن العقائد الأوروبية حول طبيعة المسيح .

كما استهدفت الحملة الصليبية ضمن ما استهدفت تدمير الكنيسة القبطية المصرية وتذويبها فى الكنائس الأوروبية - فقد قام الصليبيون بخطف ٥٠٠ طفل من دمياط أثناء الحملة الصليبية الخامسة سنة ١٢١٩م وقاموا بتعميدهم وفقا للعقائد الكاثوليكية .

كما أن الملك لويس التاسع ملك فرنسا حين احتل دمياط قام بفرض بطريرك كاثوليكى على المدينة .

ومع ظهور الاستعمار الانجليزى بعد ذلك فى القرن التاسع عشر حاول الاستعمار الانجليزى أن يستخدم التبشير فى ضرب الكنيسة القبطية فى مصر وأن يزرع كنائس بروتستاتينية فى التربة المصرية - ولقد تصدت الكنيسة القبطية لهذا الأمر وقاومت بعثات التبشير التى شكلت خطرا على عقيدتها وقام البطريرك كيرلس الرابع بشراء مطبعة لمواجهة مطبوعات بعثات التبشير التى تشكك فى العقيدة الارثوذكسية وهى عقيدة الكنيسة المصرية .

إذن فوقائع التاريخ والعقيدة تقول :

- أن الكنيسة المصرية - كنيسة عريقة - أقدم من كل الكنائس

الأوروبية .

- أنها كنيسة مستقلة فى عقائدها حول طبيعة المسيح بشكل خاص - وتختلف اختلافا كاملا عن عقيدة الكنائس الأوروبية الكاثوليكية والبروتستانتينية .

- أنها كنيسة تقر بالفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية وتعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

- أنها كنيسة عانت من الاضطهاد ومحاولات التذويب على يد الرومان والصليبيين والاستعمار .

- أنها كنيسة لم تخضع لأى نوع من الاضطهاد على يد الفتح الاسلامى بل بالعكس شاركت بحماس واندمجت فى الحضارة الاسلامية وأصبحت اللغة العربية لغتها - بل وأصبح هناك رواق للأقباط فى الأزهر ونبغ الكثيرون من الأقباط فى الفقه واللغة .

ومحصلة كل هذا أن المسلم والمسيحى فى مصر يجمعهما الانتماء للاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن .

* * *

الباب الثالث

قــراءة فــى أحــداث
الفتنــة الطائفيـــة

نحن فى حالة صراع مع الاستعمار الاوروبى عموما والامريكى والصهيونى خصوصا - وحضارتنا الاسلامية ووجودنا كأمة مستهدف لافرق فى ذلك بين المسلم والمسيحى . وقد رأينا كيف أن الكنيسة المصرية ذاتها كانت دائما مستهدفة للتدمير أو التذويب على يد أوروبا الصليبية والاستعمارية .

والاستعمار يستهدف بالطبع ضرب ثقافتنا وحضارتنا وعوامل تميزنا واستقلالنا وفى سبيل ذلك لجأ إلى زرع انماط ثقافته وفكره وسلوكه داخل مؤسسات وأحزاب ومدارس فكرية محلية واستقطب قطاعا لا بأس به من المسلمين والمسيحيين على السواء لتحقيق ذلك . وهنا المسألة لا علاقة لها بالطائفية . ولكن الاستعمار أيضا يريد ضرب تماسك بلادنا عن طريق زرع الفكر الطائفى فى أوساط المسلمين والمسيحيين على السواء - الاستعمار يزرع الفكر الطائفى فى أوساط المسلمين ليخيف المسيحيين ويزرع الفكر الطائفى فى أوساط المسيحيين لكى يقنعهم بأنهم ينتمون إلى نفس الأرضية الحضارية للاستعمار وهذا بالطبع وهم وخطأ وعلى المسلمين أن يدركوا أن دينهم وشريعتهم وظروفهم تحتم عليهم الا يكونوا طائفيين وعلى المسيحيين أن يدركوا أن تاريخهم وتراثهم ومصالحهم أيضا تحتم عليهم الانتماء الى الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن .



نعم هناك مشاكل وهناك تجاوزات - ولكن الاستعمار يضخم والمدرسة الاستعمارية تلتقط هذا الحدث أو ذاك لتنفخ فيه حتى تعزل المسيحيين عن المسلمين وبالطبع الخاسر هو مصر . الخاسر هم المسلمون والمسيحيون على السواء الخاسر هو الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية نعم هناك بعض من المسيحيين ممن ارتبط بالاستعمار على مستوى القيادات السياسية أو الصحف أو حتى بعض رجال الدين - ونعم هناك استفزازات - ولكن على المسلمين أن يدركوا أن استفزازهم عن طريق هؤلاء هدف استعمارى مبيت - لأن الاستفزاز ورد الفعل غير المدروس يحقق مزيدا من الخوف لدى الاقباط لأنهم أقلية وبالتالى يجعل رواج الفكر الطائفى بينهم سهلا وميسورا وهذا مالايريده المسلم أو المسيحى الذى ينتمى إلى هذا الوطن .

أكثر من هذا أن عملاء الاستعمار ومثقفى المدرسة الاستعمارية يعملون على إحداث ذلك وتضخيمه والنفخ فيه مثل فرج فوده ولويس عوض مثلا . وهذا بالطبع خدمة للاستعمار ونكاية فى الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية وعلى حساب الوطن .

يجب على المسلمين أن يضبطوا أعصابهم وألا يستفزوا ويجب على المسيحيين ضرب الفكر الطائفى والانعزالى وأن يدركوا أن قبطيتهم تحتم عليهم الايمان بأنهم مسيحيون عقيدة مسلمون وطنا وأن ينتموا الى الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن أنظر مثلا إلى

مكرم عبيد يقول أنا مسيحى دينا مسلم وطنا وهو هنا لايعبر عن رؤية شخصية بل عن التراث القبطى والعقيدة القبطية الصحيحة .

* * *

إذا حاولنا أن نتتبع مايسمى بحوادث الفتنة الطائفية التى يضخمها العلمانيون من دعاة الفتنة الطائفية فى بلادنا نجد أنها هى ذاتها تثبت عدم وجود الطائفية فى سلوك الشعب كما أنها من تدبير الاصابع الاستعمارية أساسا .

فحوادث العنف التى صاحبت ثورتى القاهرة الأولى والثانية ضد الحملة الفرنسية وجهت أساسا ضد المتعاونين مع الاستعمار الفرنسى سواء كانوا مسلمين أو أقباطا فقد طالت عمليات الانتقام الشعبى هؤلاء الذين تورطوا مع المعلم يعقوب القبطى الذى شكل مايسمى بالفيلق القبطى وتعاون مع الفرنسيين ضد الشعب ، كما أنها طالت أيضا المسلمين المتورطين فى التعاون مع الاحتلال مثل محافظ القاهرة ، فهى إذن لم تكن موجهة إلى الاقباط بصفتهم أقباطا بل وجهت الى من تعاون منهم مع الاحتلال ضد أبناء شعبه ، ولو كان الثائرون قد استثنوهم من العقاب بسبب قبطيتهم لكان هذا سلوكا طائفيا .

ومذبحة الاسكندرية مثلا ١٨٨٢ ، اتفق كل المؤرخون بشأنها بأنها من إفتعال القنصل الانجليزى فى الأسكندرية وبتدبير منه .

وأحداث العنف التى صاحبت الثورة العرابية - والتى طالت

بعض الأقباط ، طالتهم بسبب قيامهم بعمليات الربا والنهب فى إطار عملية النهب الاستعمارى لمصر ، وبالطبع طالت الأجانب لقيامهم بالعمل نفسه وطالت بعض المسلمين أيضا .

أما عملية اغتيال بطرس غالى رئيس الوزراء سنة ١٩١٠ على يد ابراهيم الوردانى فلم تكن بسبب قبطيته بل بسبب تعاونه مع الاحتلال فى توقيع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ التى أطلقت يد انجلترا فى السودان ، وبسبب حادثة دنشواى التى رأس محكمتها وبسبب إصداره قانون المطبوعات وبسبب عزمه على مد امتياز شركة قناة السويس وقد كان هذا السبب هو الذى عجل بتنفيذ عملية الاغتيال فى بطرس غالى لأنه عمل يستفز أى وطنى ، ولو كان ابراهيم الوردانى قد ترك بطرس غالى لمجرد أنه قبطى لكان هذا سلوكا طائفيا .

وفى الحقيقة كان الأقباط أيضا مع المسلمين قد دافعوا عن ابراهيم الوردانى ونفوا عنه تهمة التعصب ، فنصيف المنقبادى نشر فى صحيفة الاكلير خطابا قال فيه «أننى أعرف الوردانى شخصيا وهو فتى شديد الذكاء كثير المعارف وليس رجلا متعصبا ، وأننى بصفتى قبطيا أى مصريا مسيحيا أصرح أن تهمة التعصب الاسلامى ليست الا من إشاعات الانجليز» .

بل أكثر من هذا فإن أحد الأقباط وهو عريان سعد قام بمحاولة اغتيال يوسف سليمان باشا وهو قبطى أيضا بسبب تعاونه مع

الانجليز .

وفى أحداث ١٩١٠ - حاول الانجليز اذكاء نيران الفتنة الطائفية واستغلال حادثة اغتيال بطرس غالى واستطاعوا إغراء بعض عملائهم باثارة مايسمى بمطالب الأقلية ، إلا أن الوعى الشعبى قد طوق هذه المحاولة وهدأت الأحوال سريعا ويتفق جميع المؤرخين مثل الرافعى - طارق البشرى - وليم سليمان - على أن الأصابع الانجليزية كانت من وراء تلك الأحداث أما أحداث السبعينات فإن الاستاذ وليم سليمان يتهم الاستعمار والصهيونية بانهما من وراء تلك الأحداث ، والسادات والبابا شنوده يتهم كل منهما الآخر بأنها من افتعاله وبصرف النظر عن صحة أو عدم صحة اتهام كل من السادات للبابا أو البابا للسادات فإن هذا يثبت أن الحركة الاسلامية والمسلمين عموما أبرياء منها . أما أحداث المنيا وأسيوط والفيوم وأبو قرقاص وغيرها التى حدثت فى بداية التسعينات فإن الأوساط الصحفية أشارت الى أن الأصابع الأجنبية وراء تلك الأحداث وأن النيابة قد ضبطت تنظيما من بعض الأجانب يحمل منشورات ووثائق تثبت تورطهم فى إشعال نيران الفتنة الطائفية فى مصر .إذا فلا يمكن اتهام المسلمين أو الحركة الاسلامية بالطائفية فكرا وسلوكا سابقا أو الآن والمسألة كلها من فعل قوى الاستعمار أو المرتبطين به، أو أنها أحداث غير طائفية أصلا ولكن مثقفى المدرسة الاستعمارية يحاولون وصفها بالطائفية خدمة لأهداف مريبة

البـــاب الـــرابـــع

الشريعة الاسلامية
مطلب قبطى أيضا

الشريعة الاسلامية تمثل بالنسبة للمسلم أمرا الهيا يجب إتباعه، والالتزام بها يشكل أحد أشكال طاعة الله تعالى وتأكيد الايمان به وهى أيضا بالنسبة للمسلم والقبطى أحد مكوناته الثقافية والحضارية والوطنية .

ولا شك أن القبطى الذى يؤمن بالانتماء الى الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن يدرك أن تأكيد الذات والهوية الحضارية لبلادنا يمر عبر الالتزام بنظام تشريعى وقانونى مستمد من ثقافتنا الذاتية والحضارية وليس نظاما قانونيا مستمدا من الثقافة الاوروبية الاستعمارية لأن هذا معناه ضياع الهوية الحضارية لنا وخضوعنا للاستعمار الثقافى الأوروبى .

وهكذا فإن الشريعة الاسلامية أيضا تشكل فى المضمون النهائى أحد عوامل الاستقلال والتحرر الوطنى فى مواجهة الهيمنة العسكرية والاقتصادية والثقافية والسياسية للغرب الاستعمارى ، ومن ناحية أخرى فإنه حتى من الناحية العملية والعلمية فإن أى نظام قانونى لاينبثق من الثقافة الوطنية والوجدان الشعبى هو نظام محكوم عليه بالفشل ولن يؤدى إلى تحقيق أهداف النظام القانونى أصلا فضلا عن أنه سيكون غير مفهوم للناس وقابل للرغبة فى الافلات منه والسير على عكس لوائحه .

وهكذا فان مطلب تطبيق الشريعة الاسلامية هو مطلب اسلامى كنوع من تجسيد طاعة الله والتزاما بشرائعه وهو مطلب إسلامى

وقبطى كشكل من أشكال التحرر الوطنى والاستقلال وتأكيد الهوية الحضارية والوصول الى نظام قانونى قابل للتجانس مع الوجدان الشعبى .

– الكلام عن أن الشريعة الاسلامية مطلب قبطى أيضا ليس من قبيل الامانى ولا الكلام المرسل ولكنه كلام يستند الى بحث علمى أجراه المركز القومى للأبحاث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة تحت إشراف الدكتور أحمد المجذوب سنة ١٩٨٥ تحت عنوان : «إستطلاع الرأى فى مصر حول تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية على جرائم الحدود» وجاء بهذا البحث أن ٧٢٪ من الأقباط والمسيحيين فى مصر ممن شملتهم عملية البحث قد أيدوا تطبيق الشريعة الاسلامية فى مجال الحدود وأن ٦٨٪ منهم قد تحمس لهذا الأمر باعتباره أفضل الطرق القانونية لتحقيق أمن المجتمع .

* * *

البـــاب الخـامـــس

الحركة الإسلامية حركة غير طائفية

الاسلام دين غير طائفى ، والحركة الاسلامية المعاصرة بالضرورة غير طائفية لأنها تستمد قيمها وأسلوب عملها من الاسلام ، ونقصد بالحركة الاسلامية المعاصرة حركة النضال الاسلامى ضد الاستعمار ، والصهيونية والتخلف والاستبداد وهى متمثلة ابتداءا من حركة السيد جمال الدين الأفغانى إلى الثورة العرابية ، حركة مصطفى كامل - محمد فريد «الحزب الوطنى» حركة الأخوان المسلمين «حسن البنا » حركة مصر الفتاة « أحمد حسين» .

فالسيد جمال الدين الأفغانى وهو زعيم إسلامى كبير استجاب له المسلم والمسيحى الشرقى على حد سواء وهذا يؤكد عدم طائفية الرجل ويؤكد أيضا أن المسيحى الشرقى يؤمن بالانتماء إلى الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن .

والثورة العرابية - وهى ثورة اسلامية - مارست نفس الشئ وسلكت نفس السلوك - لأنها خرجت من مشكاة الوعى الفذ للسيد جمال الدين الأفغانى وانحاز إلى عرابى فى إطار تلك الثورة كل من ينتمى إلى الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن فى مواجهة الذين إنحازوا الى الاستعمار والحضارة الأوروبية فوجدنا مثلا فى خندق الثورة علماء الاسلام وبطريرك الأقباط ووقعوا جميعا على قرار المجلس العرفى بعزل الخديوى توفيق .

وفى إطار النضال ضد الاستعمار البريطانى بعد عام ١٨٨٢م من خلال الحزب الوطنى - وهو حزب اسلامى التوجه والأساليب - لمعت

أسماء لأقباط كانوا من قيادات ذلك الحزب مثل ويصا واصف ومرقص حنا وغيرهم .

وفى ثورة ١٩١٩ وهى ثورة إسلامية البواعث والجماهير ، وإن كانت العلمانية قد سرقت ثمارها وأضاعتها - تجمع الشعب المصرى بمسلميه وأقباطه على قاعدة الانتماء الى الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن فى مواجهة الاستعمار الانجليزى الذى يمثل الحضارة الغربية الاستعمارية .

والامام الشهيد حسن البنا مثلا وهو مؤسس وزعيم جماعة الأخوان المسلمين يؤكد الانتماء القبطى الى الاسلام كثقافة وكوطن، فنقلا عن يوسف القرضاوى - حتمية الحل الاسلامى - الطبعة الثالثة ص ١١١ - الجزء الأول يقول حسن البنا «هذا الشعب ، شعب وادى النيل كله فى الشمال وفى الجنوب يدين بهذا الدين الحنيف والأقلية غير المسلمة من هذا الشعب تعلم تمام العلم كيف تجد الأمن والعدالة والمساواة التامة فى كل تعاليمه وأحكامه ويعتبرون الاسلام معنى من معانى قوميتهم».

ولأن الأقباط ينتمون إلى الاسلام كثقافة وكحضارة وكوطن لم يجدوا أى حساسية فى شعارات الأخوان المسلمين ولا ممارساتهم الاسلامية ، بل وقفوا معها ، ويحكى الأمام الشهيد حسن البنا فى مذكرات الدعوة والداعية «أن أحد المسيحيين قدم عريضة ضده تتهمه بالتعصب ، إلا أن وفدا مسيحيا برئاسة راعى الكنيسة

الأرثوذكسية بالاسماعيلية قد رد عنه هذه التهمة وأعلن استنكاره لما حدث» مذكرات الدعوة والداعية صـ ٨٨ ، ٨٩ .

وفى إطار مصر الفتاة «أحمد حسين» لعب الأقباط دورا هاما من خلال هذا الحزب الذى لايخفى إسلاميته ، بل لعل إسلامية هذا الحزب كانت احدى دوافع هؤلاء الأقباط للدفاع عنه والنضال من خلاله - ولمعت أسماء مثل الدكتور فخرى أسعد كأحد قيادات هذا الحزب ، وسامى جورج سكرتير شعبة مصر الفتاة بأسوان ويسقالس ويصا كعضو فى لجنة الحزب التنفيذية وعرف من أنصار الحزب أيضا بشرى بباوى ولبيب خليل وحنا معوض غطاس وحنا خميسه ولبيب دانيال وموريس شهاد .

* * *

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين